

جاذر جاسم ، وكأنها دمية عاج ، وكأنما هي دمية من دمي القصور ، وحورية
من حور الجنان * وقد قرأت في وجهها نسخة الحسن ، وانما هي الحسن
مجسما ، والجمال ممثلا * ويقال فلانة تغترق الابصار اي تشغلها بالنظر اليها
عن النظر الى غيرها لحسنها ، ولفلانة ملاءة الحسن وعموده وبرنسه اي
بياض اللون وطول القد وحسن الشعر * وتقول على فلانة مسحة من جمال ،
وروعة من جمال ، اي شيء منه * وعليها عقبة الجمال اي اثره وهيئته * وهي
ذات ميسم اي عليها اثر الجمال * وانها لحسنة شآبيب الوجه وهي اول ما
يظهر من حسننها لعين الناظر اليها



قضت علينا بعض الظروف بتأخير هذا الجزء فترجو المذرة من
حضرات القراء ثم اننا قد زدنا هذا الجزء ثماني صفحات لتوفر مواده وهو
ما سنجري عليه كلما قضت الزيادة التماساً لمرضاة حضراتهم

شرح الجليل

الجزء الثالث — السنة السابعة —

{ الاسكندرية في ٣١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٤ }

{ الموافق ١٤ محرم سنة ١٣٢١ }

استهلاك الانسان لذيائه

ما برح هذا الانسان منذ تحضر ونمت بين يديه الاختراعات العديدة
وهو دائب السعي مواصل الجهد في استخراج كنوز الارض ومنافعها ولكنه
افرط في ذلك جداً اتباعاً لافراط مدينته حتى صار محسوباً لدى الارض
لصاً يسرقها وينال منها ما ليس من حقه فانه بعد ان كان يحرق الاقعة من
الفحم الحجري مثلاً في سبيل تدفئته وانضاج طعامه صار ينفق مثلاً في سبيل
انتقاله بالسكك الحديدية والبواخر المائية ثم صار ينفق اضعافها في سبيل ائارة
منزله وشوارع بلده متخطياً حدود التدريج في ذلك حتى صار هذا الفحم
على كثرته وهو على خطر النفاد الوشيك لان المدينة صارت تلتهمه التهاماً
لمطالبها العديدة ومستحدثاتها الجمّة ولهذا فهم كلما حسبوا ان الباقي من الفحم

يكفيهم لكذا من السنين يجدون انفسهم قد غلطوا في الحساب ويرون المدنية قد خالفت تقديراتهم ومن اجل ذلك بات اولو التقدير على وجل لانهم يجدون القياس يضطرب لديهم الى حد ربما يقضي برجع المدنية الى الوراء فيصبح الانسان مدنياً بالعلم اي عارفاً بطرق المدنية واسبابها ولكنه عاجز عن مباشرتها بالفعل لا تمتنع ذرائعها واسبابها

اما الفحم فقد ظهر بالتأكيد انه لا بد ان ينفد وربما يكون نفاده قبل الوقت المعين له ما دام قديمين انه لا حداً لاختراعات البشر ولا خط لسعيهم في التماس الراحة والنعيم على نفقة ذاك الفحم . اما سائر المنافع البشرية فقد ظهر ان الانسان يفرط بالانفاق منها افراطاً زادت به الحاجة عن مقدار الموجود كما ظهر لهم من سباخ الطير مثلاً مما اتخذوه دليلاً على سواء فانه كان يوجد في الارض جزائر عديدة مقفرة كان يأوي اليها ملايين من طيور البحر وكان يتجمع منها سباخ يوزن بملايين الطنات لانه كان متراكماً من قرون عديدة فلما علم الانسان به اقبل عليه من كل جانب حتى استنفده كله دون ان يدخر من مثله شيئاً يقوم مقامه حتى لقد نظروا الى اريخيل واحد في جزائر بحر بيرو في اميركا الجنوبية فوجدوا انه قد اخذ من سباخ طيره سبعة ملايين طن في سبع سنوات فقط ثم لم يكتفوا بذلك بل ابادوا الطير نفسه حتى عدموا الاصل والفرع وصار من الحال ان يعوض هذا المورد المجاني النافع ولذلك لا بد ان يجي حين يشعر به الاعقاب بحاجة ماسة الى ذاك السباخ الضروري لبعض المحاصيل فلا يجدونه

ثم يتلو ذلك النيرات الذي يؤخذ سباخاً فانهم وجدوه في شيلي وبيرو مخاموا عليه من كل جهة حتى اوشك ان ينفد وقد لا تمر عليه مئة سنة حتى

يفنى ويتعذر الاتيان بما يقوم مقامه كما سيكون الشأن في الذهب فانه مع قلة الحاجة اليه من حيث الانتفاع الحقيقي به قد اوشك ان ينفد ايضاً لانهم قد عرفوا بكل معادنه وهم دائبون بكل الجهد على استخراجهم ولا بد له من ان يفنى تبرا ويقتي دنائير وحلياً تفنى بالتدريج بحيث لا يدوم منه لأمه الارض الا ما لا يستطاع الوصول اليه كالموجود في الاعماق ونواحي القطبين الجامدين ومما يدل على صحة ذلك انه لم يستخرج في عام ١٨٥١ الا بقيمة ١٧ مليون جنيه ذهباً فصار الان يستخرج بقيمة ٦٠ الى ٧٠ وهذا وان كان يعزى الى الجهد وتحسين طرق الاستخراج فانه يدل على سعي شديد ينذر بنفاده حتى تصبح عمدة الارض من بعده على الموجود منه في سطحها مسكوكاً ومصنوعاً وهو مما يفقد ويتثر بفعل القدم وتوالي الزمن

ولقد كانوا يظنون انه اذا سدت ابواب الرزق على الانسان في الارض اليابسة فهو يجد من البحر مورداً لا ينضب ونتاجاً لا يفنى ولكن الذي ظهر من شدة الجهد الحاصل الان في اصطياد احياء البحر قد دل على شيء من خلاف ذلك لان الانسان قد امعن في صيده الاسماك والحيتان حتى افنى اكثر الموجود منها ثم زاد بتوصله الى اعماق البحر فنال من احيائها ما استطاع ولهذا فانه قد ينقرض من موجودات البحر انواع كثيرة كما انقرض مثلها عن سطح الارض الا اذا اعتدل الانسان في مطالبه وترفه وسن لاستهلاك تلك المخلوقات شرائع لا تنقض وهو ما يجري منه الان شيء في صيد الحيتان والسماك المعروف بالسردين وصيد الطيور والوحوش في بعض الممالك . الا انهم مع كل هذا الجهد لا تزال المدنية غالبة عليهم لنيل مشترياتهم كما شوهد في بعض صنوف الحار والسرطان فان اثمان هذه المأكولات قد تضاعفت

أكثر من عشر مرات في نحو ثلاثين سنة وهو ما يدل على كثرة استهلاكها
 وشدة الرغبة فيها بحيث لو دام ذلك على هذا المعدل فأنها تنقرض من جهة
 التجارة وترجع بالإنسان إلى شرهه إليها بنتيجة اسرافه فيها
 ثم إنه ليست المعادن ولا هذه الحيوانات الدنيئة التي تنقرض بل إن
 حيوانات أخرى كبيرة تم بالانقراض من شدة الإفراط في صيدها والطمع
 في الربح منها حتى لقد ذكروا أن مليونين ونصف مليون حيوان بحري من
 الحيوانات ذات الصوف صيدت في سنة واحدة وأخذت جلودها حتى
 أوشك ذاك الحيوان أن ينقرض ثم تلتها حيتان البحر الكبيرة التي تتنازع
 الدول على مناطق صيدها فانهم قد افراطوا في قتلها حتى اشرفت على الفناء
 ولكن الطبيعة كانت كأنها حافظة لنفسها بنفسها فكسدت تجارة تلك الحيتان
 لكثرتها حتى قلت الرغبة في صيدها وهو ما يدعو إلى استبقاء نوعها إلا إذا
 دعت المطامع لاستئناس الكرة عليها

أما الفيل وهو أضخم الحيوانات البرية فقد كاد أن يزول من البلاد التي
 وطئها الإنسان لأنه يقتل منه كل عام الوف للظفر بعاجه وربما ينقرض بجملته
 حين يتوغل الإنسان في الجاهل التي لا يزال يوجد فيها ذاك الحيوان بكثرة
 بحيث لا يعود الفيل منظوراً إلا في معارض الحيوانات في العواصم والملاعب
 العمومية

هذا بعض ما يذكر عن سرقة الإنسان لذيده ومتاجرته بحيواناتها ذات
 الجلود والعظام الثمينة ولكن خطباً آخر يتهدد الدنيا من جهة غاباتها وأخذ
 الأخشاب منها للمنافع العمومية ولصنع الورق بالخصوص فانهم ذكروا أن أكثر
 وحدها بهذا الشأن فوجدوها تستبضع كل عام من الأخشاب ما تبلغ قيمته

٢٥ مليون جنيه . إلا أنه من المعلوم أن الأشجار تقطع ويغرس بديلها ولكنهم
 وجدوا على حسب المعدل الحاضر أن الفناء لا بد أن يدركها أو تقتصد الدنيا
 في مدنيته وحاجاتها الكمالية لأن قلة الأشجار فيها وبالتالي انقطاع الغابات
 الكثيفة مما يغير تغييراً مهماً في أجواء البلاد ودرجات حرارتها فيجيء الخراب
 مضاعفاً

والذي يستفاد من معنى هذا المقال أن الدنيا على كثرة جهدها فيها في
 تعويض ما يؤخذ منها لا تزال على خطر شديد من الاضطراب في موجوداتها
 وعدم الملاءمة بين مقدار الحاصل والمطلوب . إلا أن الحيوانات مثلاً يمكن
 الإبقاء عليها بحيل وشرائع كثيرة تحفظ نوعها حتى تعود إلى كثرتها لأن
 تحلي النساء بريش النعام واستعمال الرجال لعاج الفيل مما يمكن الاستغناء عنه
 مدة وأما الفحم الحجري فلا يستغناء عنه مستحيل سواء للقيام بالمطالب الكمالية
 والضرورية ولذلك صاروا يفكرون في قوى مجانية تقوم مقامه وهو ما أشرنا
 إلى شيء منه فيما مضى ولا سيما قوى الماء المنحدرة فانهم ذكروا شلالات
 نياغارا في أميركا وشلالات زامبازي في إفريقيا فأرأوا أنه من الممكن الانتفاع
 منها بقوى ملايين من الخيل ويقال إنهم يسعون في انكثرتا لصنع خزان
 يصون متفرق المياه المنحدرة لاستخدام قواها والانتفاع بها بمقدار ٨٨ ألف
 حصان فإذا كانت كل دولة تجري على هذا الجرى فانه يتوفر للدنيا ملايين
 من ذات الفحم الحجري وهذا لا بد أن يجري إن لم يكن في أيامنا ففي أيام
 أعقابنا لأن الفحم لا يتجدد كالماء والهواء والنبات بل هو محدود الكمية ولا

بد ان يفنى واذا كان لا يفنى حقيقة فانه يفنى بعدم امكان الوصول اليه اذ يكون على عمق لا يتحمل حره الانسان

ومما يتلو نفع منحدرات المياه النفع الحاصل من قوة المد والجزر فانهم ذكروا عن خليج فوندي في نوفا سكوتيا ان قوة المد والجزر فيه معادلة لقوة مئتي مليون حصان وهي الان ذاهبة بلا فائدة بالاطلاق مع انه حين تدعو الضرورة الى استخدامها يمكن الانتفاع بها الى الابد

ومما يجيء نفعه بعد نفع المد والجزر نفع الحرارة الحادثة من اشعة الشمس فانهم قدروا ان الاشعة الواقعة على كل ذراع مكعبة من الارض مدة الصيف فيها من القوة ما يعادل قوة ثلاثة حصن بحيث انه لو جمعت قوى الاشعة الواقعة على اربعة ابدنة في منتصف النهار لكنت معادلة لكل القوى الحاصلة من مياه شلالات نياغارا في اميركا وهي اعظم شلالات على وجه الارض وهذه القوى مما يرجح استخدامها اذا وجدت النفقة فيها اقل من غيرها بل انهم قد جربوها الان ولكن لم يذكروا مقدار نفقة العمل الذي عملوه لها فانهم قد صنعوا زجاجة كبيرة على شكل الشمسية وجعلوها ذات النفي خانة ووضعوا ضمنها مرجلاً فيه الماء الذي يتبخر واحتالوا لها بحركة ذاتية توجهها دائماً الى الشمس فجاءت بنفع عظيم حتى انه لو وضع في مركز الاشعة قطعة من نحاس لذابت في الحال من فرط الحرارة كما يذوب الجليد ثم يتلو منافع الشمس منافع الهواء فان هبوبه متصل على الارض بدون انقطاع وهو لا يزال مستخدماً لدى كثير من الامم في ادارة الطواحين ولا سيما في هولاندا حيث ينتفع من هبوب الرياح انتفاعاً عظيماً في رفع المياه من اراضيها المنخفضة عن سطح البحر مع اننا نحن في مصر ننزع مياه البحيرات

بقوى البخار في حين كان بالامكان تقليد ما يجري في هولاندا والاستغناء عن نفقات الفحم الطائلة ولا سيما ان الجهات الواقعة فيها هذه البحيرات معرضة لهبوب الرياح على الدوام كما هو مشاهد في الاسكندرية التي لا ينقطع مر الرياح عليها لحظة واحدة ويقال ان اعظم قوة للهواء مستخدمة الان في همبورغ بالمانيا حيث اقيم شراع تبلغ مساحته الف قدم مكعبة ويبلغ دورانه احدى عشرة دورة في الثانية وقوته تسعين حصاناً وهو يستخدم الان لتوليد الكهرباء ولعل قوة الهواء تكون افضل قوة يستطيعها الانسان لانه لا تخلو مملكة من امكنة يهب فيها الهواء على الدوام



العلم والصناعة

اصبح اقتران العلم بالصناعة في هذه الايام من اهم ما يجب اعتباره والالتفات اليه لانهم وجدوا النجاح بدون ذلك مستحيلاً كما كانت الحال في بلادنا فان الصانع والزارع كانا يشتغلان في حرفتيهما وهما لا يدريان مما يصنعان شيئاً بل يجريان على موجب التقليد ولهذا كان كل شيء عندنا اولياً ليس عليه اثر من التمييز العلمي ولا يزال هذا شأننا في كثير من الاعمال على خلاف بعض الممالك الاوربية والاميريكية التي اطلقت العلم بين صناعاتها وزراعتها فبلغوا من النجاح المبالغ العزیز

فلقد حدثوا عن المانيا انها كانت من خمسين سنة كما هي الان لم يزد فيها شيء عما كان موجوداً فيها من المواد الاولية التي تتناولها الصناعة ولكنها